الأدب والفن في أسبوع

للاستاذ عباس خضر

مصر والعروبة

نشرت صحيفة «المصري» يوم السبت من الأسبوع الماضي مقالين عن مكان مصر من سائر البلاد العربية، لأستاذين كبيرين هما المفكر العربي ساطع الحصري بك، والأديب المصري الدكتور أحمد زكي بك؛ والمقالان يمثلان وجهتي النظر المختلفتين في هذا الموضوع، الأول يقول بالقومية العربية وبأن مصر هي زعيمة هذه القومية، والثاني يقول كما ينطق عنوان مقاله «ما العرب وما الفراعنة، إنما نحن مصريون» ولا أدري هل قصدت الصحيفة أن تملأ الكفتين في عدد واحد أو هو مجرد اتفاق، والمحقق أن كلا من الكاتبين كتب مقاله وهو لا يعلم شيئاً عن مقال الآخر.

وقد تلى الأستاذ الحصري موضوعه بمقال آخر نشرته الصحيفة يوم السبت من هذا الأسبوع. في المقال الأول أعرب عن إيمانه بأن مصر تعتنق الفكرة العربية وأن الطبيعة ودتها بكل الصفات والمزايا التي تحتم عليها أن تقوم بواجب الزعامة والقيادة في إنهاض القومية العربية. وقال إنه لم يقنط من انتشار فكرة القومية العربية في مصر يوما من الأيام، وإن إحجام مصر عن الاشتراك في الثورة العربية التي قامت ضد السياسة العثمانية إنما كان لظروف سياسية وعوامل تاريخية، وهي ظروف وعوامل عارضة كان طبيعيا أن تتغير بعد مدة، كما كان طبيعياً أن يتبدل موقف مصر والمصريين من حركات القومية العربية تبدلا ظاهراً تبعا لتغير تلك الظروف، وأخذ الشعور بالعروبة في مصر يغمر نفوس المصريين شيئاً فشيئاً، حتى اشتد خلال الحرب العالمية الثانية، وبلغ حده الأقصى بعد تأسيس جامعة الدول العربية وعند بدء الحركات السياسية والحربية لإنقاذ فلسطين من براثن الصهيونية. ولكن الإخفاق الذي منيت به هذه الحركات أثر في هذا التيار الفكري تأثيراً سيئاً وعرض فكرة العروبة لنكسة أليمة جداً. إلى أن قال: إني أقدر مرارة الآلام التي شعر بها المصريون بحق من جراء سير الوقائع الحربية في فلسطين ولا سيما صفحتها الأخيرة. ولكني أعرف أن جميع المؤمنين بالقومية العربية شاركوا المصريين في هذه الآلام، وإن المثل العليا القومية لا يمكن أن تتحقق في جملة واحدة. ثم أرجع الأستاذ عدم تقدير هذه الحقيقة — في أهم أسبابها — إلى اختلاط مفهوم «الفكرة العربية» بأعمال «جامعة الدول العربية» في أذهان الكثيرين من الخاصة والعامة. وبعد ذلك أوضح الفرق بين جامعة الدول العربية التي تأسست سنة ١٩٤٥ بموجب الميثاق المعلوم، وبين «الجامعة العربية» التي لا تزال فكرة تعيش في أذهان الذين يؤمنون بوحدة الأمة العربية إيمانا صحيحاً، قائلا بأن كل من يتهجم على فكرة الجامعة العربية من جراء أعمال جامعة الدول العربية، يكون قد ارتكب ظلما فادحاً

وأذكر بهذا رأي الأستاذ الحصري أن القوميات إنما تقوم على اتحاد اللغة قبل كل شيء، وقد فصل هذا الرأي وطبقه على نشوء القوميات بأوربا في المحاضرات التي ألقاها بدار الجمعية الجغرافية الملكية من نحو سنتين، وقد اتخذ من القوميات الأوربية أمثلة خلص منها إلى فكرة القومية العربية التي تقوم على لغة الضاد في جميع بلاد العروبة.

وكان المقال الثاني للأستاذ الذي نشر يوم السبت الماضي تطبيقا لفكرته في أساس القوميات إذ رد به على حديث لسعادة الأستاذ لطفي السيد باشا أدلى به إلى مجلة «المصور» أيد فيه مصرية المصريين مستشهداً باليونان في عسكهم بقوميتهم وتحقيق استقلالهم عن الأتراك.

قال الأستاذ الحصري: إن اليونان لم يندمجوا في الأتراك بسبب اختلافهم عنهم في اللغة وفي الدين، وقد تعرضت اليونان بعد انفصالها عن الدولة العثمانية لخطر الاندماج في الشعوب السلافية في أوروبا التي يجمعها بها المذهب الأرثوذكسي، ولكنها تغلبت على الاعتبارات الدينية واستجابت لنداء اللغة والوطن، فاليونانيون

مدينون بكيانهم السياسي الراهن - قبل كل شيء وأكثر من كل شيء - إلى تمسكهم بلغتهم القومية. وقال: ألا يدل ذلك على أن سعادة لطفي السيد باشا قد حاد عن جادة الصواب عندما استصغر وتجاهل شأن اللغة فساوى بين العروبة وبين التركية خلال دعوته إلى المصرية على أن هناك ما هو أهم من ذلك، فبلاد اليونان لم تستقل كلها دفعة واحدة، فقد استقل سنة ١٨٣٠ أقل من خمس بلاد اليونان الحالية، وظل الباقي ولايات عثمانية ثم أصبحت من الدولة اليونانية فيما بعد، ومع ذلك فان المفكرين وزعماء اليونان ومفكريهم لم يحصروا مفهوم الوطن اليوناني داخل الحدود التي خطتها السياسة الدولية، ولم يقولوا: فلنحصر جهودنا داخل هذا الوطن الذي يرفرف عليه علمنا الرسمي، ولم يتنكروا لهذه الأقطار المختلفة فيخرجوها من نطاق جهودهم الثقافية ومن حدود أهدافهم السياسية. بل ظلوا يحلمون بالوطن الأكبر الذي يضم جميع المتكلمين باليونانية، حتى تكللت جهودهم بالنجاح التام. ألا يظهر من ذلك كله أن تاريخ اليونان الحديث لا يؤكد الرأي الذي أبداه سعادة لطفي السيد باشا، بل إنه - على عكس ذلك - يشهد شهادة صريحة ضد ذلك الرأي ويفنده تفنيداً قاطعاً.

أما مقال الدكتور أحمد زكي بك فقد اشتمل على العناصر الآتية:

١ - تعميد القول بأصول الأمم وأن الفكر الحديث قد اطرح هذه الأصول، واستدل بأمة الولايات المتحدة التي تكونت من أمم مختلفة، ولم يمنعها اختلاف الأصول أن تكون أمة مرتبطة مشتركة الأحساس، يتسابق أفرادها في الذود عنها.

٢ - الجماعات الانسانية تأخذ بالوراثة القليل الأقل من الآباء، وتأخذ بالمران الكثير الأكثر من البيئات: الجغرافية والانسانية والثقافية والتاريخية الزمانية فأثر البيئة يغلب على أثر الوراثة حتى لا يكاد الثاني يبين.

٣ - المصريون لا تصلهم بقدمائهم صلة، فالقبط الذين يقال إنهم أخلص أنساباً لا يتفق بياضهم وخضرة عيونهم مع ما عرف عن القدماء، وليس بينهم وبين المسلمين فروق بينة وقد هضم الوادي كل من دخله

٤ - العربية عنصرية لا ترتكز على حقيقة، فقد اختلطت الأنساب في كل بلادها

كشكول الأسبوع

□ منحت جامعة روما معالي الدكتور طه حسين بك، درجة الدكتوراه الفخرية. وقد ألقى معاليه فيها محاضرة عنوانها «ما هو الأدب الكلاسيكي»

□ تحدث معالي الدكتور طه حسين بك إلى مكاتب «المصري» في روما، فقال إنه يأمل أن يزداد عدد البعثات المصرية التي ترسل إلى إيطاليا لدراسة الآداب والثقافة واللغة الايطالية والتخصص في الفنون، لأن مصر لا تستطيع أن تهمل دراسة فنون وآداب راقية مثل فنون إيطاليا وآدابها.

□ كتب أحمد صفوت باشا في الأهرام يدعو إلى الاهتمام باللغة العربية الفصحى لتكون لغة الكلام بين الخاصة ثم تنتقل منهم الى سائر الناس. وقال إن ذلك لازم لرقي المجتمع ورفع أسلوب حديثه على العامية القاصرة عن تأدية المعاني الدقيقة والمشاعر الراقية، ولتقوية الربط بين الشعوب العربية التي تختلف لهجاتها العامية اختلافا يجعل بعضها غير مفهوم لبعض.

□ سمعت في هذا الأسبوع «ندوة أدبية» مذاعة من محطة الشرق الأدنى موضوعها «الأدب والصحافة» وكانت الندوة مكونة من الأدباء اللبنانيين الأساتذة عبد الله المشنوق وقسطنطين زريق وسعيد تقي الدين، وكان الأخير يتحدث بالعامية: لغة الجبل! فهل كانت الإذاعة خاصة بأهل الجبل؟ وقد كان الأستاذ تقي الدين يرى أن الصحافة تحيى على الأدب ولكنا رأينا أن الجناية عليه هي العامية في حديثه.

□ ورد على ألسنة متحدثي الندوة السابقة تعبير لطيف له مدلول في واقع الحياة الأدبية الراهنة، هو «الإجهاض الأدبي»

□ ذكر الأستاذ جمال الدين الرمادي في مقال بالبلاغ أن أحد المستشرقين، وهو البروفسور باول كاوني، كشف تمثيليات عربية مثلث في القرن الثالث عشر الميلادي، وضمها محمد بن دانيال الموصلي أيام الظاهر بيبرس، وهي ثلاث مسرحيات: «طيف الخيال» و «عجيب غريب» و «المتيم» ولا شك أن هذا كشف أدبي هام، لأنه ينقض ما قرره مؤرخو الأدب من أن الأدب العربي خال من التمثيليات في ما قبل العصر الحديث

□ نظر مجمع فؤاد الأول للغة العربية نموذج معجم فيشر المعروض عليه، وكان قد قرر تأليف لجنة من الأساتذة العقاد وابراهيم مصطفى بك والعوامري بك، لبحث المزايا والمحتويات الصناديق التي أعدها فيشر، لتقرير مدى فائدتها ووجه الانتفاع بها. فكتبت اللجنة تقريرها وهو موضع النظر

□ وافقت لجنة القراءة بالفرقة المصرية على تمثيل المسرحية الشعرية «شجرة الدر» التي ألفها الأستاذ عزيز أباظة باشا، وسيقوم الاستاذ زكي طليمات باخراجها للموسم القادم.

والاسلام رفض الأنساب ورفض الأحساب .

والخلاصة التي انتهى إليها الدكتور زكي بك أن مصر أمة بالذي فيها اليوم من أهل ، كانت أصولهم ما كانت ، مما كما روابط مما يربط الأمم الحديثة ، وأكبر هذه الروابط رغبة أهلها في أن يكونوا أمة واحدة ويداً واحدة على الخير وعلى الشر ، ومن هذه الروابط شركة في أسلوب الحياة الواحدة والتفكير الواحد ، ومن وراء التفكير الواحد الثقافة الواحدة ، ومن وراء العواطف الواحدة التاريخ القريب الواحد »

والواقع أن هذه العناصر التي تحدث فيها الدكتور احمد زكي بك لاتنفي عنا القومية العربية ولا تقتضي انعزالنا مصريين خالصين من العروبة والعرب ، فالمفكر العربي الحديث لايقيم القومية العربية الحديثة على الأصول والأنساب ، فإذا قلنا إننا عرب فليس يلزم لصحة ذلك أن نكون منحدرين من أصلاب القحطانية أو العدنانية . ويظهر من ابتداء المقالة أن الدكتور بنى كلامه على تصريح « الملك الهاشمي » القائل : إن المصريين قوم افريقيون ، فهم لايفهمون العرب ، وليسوا أهلا لتزعم العرب. ولكن الملك الهاشمي إذ يقول ذلك يعزب عن باله مفهوم القومية العربية الحديثة ، وهو الوحدة المبنية على اللغة الواحدة والثقافة الواحدة المستندة إلى التاريخ الواحد . والعربي الحديث ليس هو فقط الذي يستطيع أن يثبت نسبه إلى إحدى القبائل العربية ، وإنما هو الذي يتكلم العربية ويشارك قومه العرب في كل أمة عربية مشاعرهم ويرتبط بروابطهم ، والمثل الذي أتى به الدكتور زكي بك ، وهو الولايات المتحدة الامريكية التي تكونت من أمم مختلفة الأصول ، ذلك المثل الذي ضيقه بالتطبيق على مصر التي تكونت من عناصر مختلفة ، ينطبق في اتساعه وحجمه على قد الأمة العربية التي يرجى أن تتكون من أمم مختلفة الأصول ، والبيئات « الجغرافية والإنسانية والثقافة والتاريخية الزمانية » تعطيها الوحدة والتماسك ، إلى جانب عامل الوراثة الذي يتمثل في اللغة والثقافة ، ولا أقول في الدم والعصب ، فالقومية العربية تتوافر لها البيئة والوراثة جميعا ؛ وقد نفى الدكتور صلة المصريين بقدمائهم ، وهذا حق لأن حاضرنا في كل النواحي بعيد عن ذلك الماضي كل البعد ، وإن كنا أحيانا نتكلف الاتصال به مجاراة للمغربيين الذين يصرون على تمجيد قدمائنا الفراعنة ، لأنهم لايحبون كلمتي « العروبة والاسلام » ولم يتعرض الدكتور بشيء من هذا القبيل بالنسبة لصلتنا بالعرب ، وما كان ينبغي له أن يفعل ، لأن الدكتور زكي نفسه بلغته التي كتب بها المقال وأسلوبه الأدبي العربي ، حقيقة ماثلة شاهدة على تلك الصلة الخالدة ..

ولو لم يكن عنوان مقال الدكتور احمد زكي بك « ما العرب وما الفراعنة ، إنما نحن قوم مصريون » لصلح المقال لتأييد القومية العربية ودخول المصريين فيها ، وذلك بتعديل يسير في بعض الأجزاء مثل إبدال « العرب » بكلمة « مصر » في [illegible] أهل الخ ، فعناصر الخلاصة كلها تنطبق على العرب بما فيها من « رغبة أهلها في أن يكونوا أمة واحدة ويدا واحدة على الخير وعلى الشر » وأبرز هذه الفقرة بالذات لأقول إن هذه الرغبة موجودة يستطيع رؤيتها من ينفذ بصره إلى الحقيقة خلال غبار الأحداث الأخيرة ، الذي أثاره « حكام » بحوافر مطامعهم ورغباتهم الشخصية .

العواذل :

وكتب الدكتور حسين مؤنس بأهرام يوم الثلاثاء من الأسبوع الماضي ، كلمة بعنوان « أهل الهوى » عذل فيها من يهوون العروبة من المصريين ، فاتبع طريقة « العواذل » المعروفة ، في تقبيح الحبيبة والتنفير منها ، والدعوى أنها لاتبادل محبها هواه ، وإظهار الشماتة لما ينال المحب من بعض الأذى في سبيل التمسك بمحبوبه ، وتصوير المحب في صورة الهالك على حبيب يعرض عنه ويزدريه ، ويلتمسون بذلك الحيلة ليجعلوا منها قبة ، وقد اتخذ دكتورنا من قولة « الملك الهاشمي » : إننا إفريقيون — مادة لعذله ، كأن هذا الملك هو سادن العروبة الأوحد ، وكأن كلمته هي الفيصل في أمر العرب ...

وطالما عذل العاذلون ولاموا ، وأهل الهوى ثابتون على هواهم ، لايزيدهم العذل واللوم إلا إمعانا في الحب وتعلقا بالحبيب. ولم يخل حب من عاذل ، فليعذل العاذلون في هوى العروبة ، وليثلبوا الحبيبة ، وليصفوا فتاها بما يمليه الوهم عليهم ، وليفتنوا في ذلك ماشاءوا ، فإن الفتى لن يحيد عن هواه ، ولن يثنيه عن عزمه مايلاقيه من المكاره ، ولا يفزعه من عذل العاذلين إلا أنه يسر الأعداء .

عباس خضر